الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة زيان عاشور ـ الجلفة
Université ZIANE ACHOUR De Djelfa

كلية الآداب و اللغات و العلوم الاجتماعية و الإنسانية
Faculté : Lettres et Langues et SC. Sociales et Humaines

قسم العلوم الإنسانية
Département : Sciences Humaine

محاضرات مقياس

تاريط الجزائر الحديث

(السنة الثانية تاريط) الأستاذ برابح الشيط



الموسم الجامعي 2010 – 2011

برنامج مقياس : تاريط الجزائر الحديث

1 – الفتح العثماني للجزائر (أبعاده و خلفياته)

2 – إلحاق الجزائر بالدولة العثمانية

3 – فترة حكم البيلربايات (1518 – 1587 م)

4 – خصائص عهد البيلربايات (إداريا ، عمرانيا ، اقتصاديا) .

5 – عهد الباشاوات (1587 – 1659 م)

6 – خصائص عهد الباشاوات (إداريا ، اجتماعيا)

7 – عهد الآغاوات (1659 – 1671 م)

8 – خصائص و مميزات عهد الآغاوات

9 – عهد الدايات (1671 – 1830 م)

10 – خصائصه و مميزاته

11 – استقلال الجزائر عن الدولة العثمانية و علاقاتها بجيرانها .

12 – مواجهة الوجود الاسباني في وهران

13 – مكانة الجزائر الدولية

14 – الحملات الأوربية على الجزائر (حملة أوريلي ، جون أنطونيو ، حملة اللورد اسكموث)

15 – العلاقات الجزائرية الفرنسية (الأزمة الجزائرية الفرنسية)

16 – مشكلة الديون و دور اليهود فيها

17 – الحملة الفرنسية على الجزائر (تحضيرها ، سيرها)

18 – المواقف الدولية من الاحتلال الفرنسي للجزائر .

قائمة المصادر بالعربية :

1 – المرآة (حمدان بن عثمان خوجة) .

2 – تاريط الدولة العثمانية العلية (حليم إبراهيم بك)

3 –مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار ، نقيب أشراف الجزائر ، تحقيق أحمد توفيق المدني

4 – مذكرات قنصل أمريكا في الجزائر (وليام شال) ، ترجمة إسماعيل العربي .

5 – الجزائر و أوربا (جون وولف) تعريب أبو القاسم سعد الله

قائمة المراجع العربية :

1 – دراسات و أبحاث في تاريط الجزائر ، ناصر الدين سعيدوني

2 – محاضرات في تاريط الجزائر الحديث ، أبو القاسم سعد الله

3 – تاريط الجزائر الثقافي ، أبو القاسم سعد الله .

4 – الجزائر في التاريط (العهد العثماني) ، مهدي بوعبدلي و ناصر الدين سعيدوني

5 – وهران عبر التاريط ، يحي بوعزيز .

6 – المراسلات الجزائرية الأسبانية في أرشيف مدريد ، بوعزيز

7 – علاقات الجزائر الخارجية مع دول و مماليك أوربا (1500 – 1870 م) ، يحي بوعزيز .

8 – العالم العربي الحديث و المعاصر ، جلال يحي .

9 – المغرب عبر التاريط ، إبراهيم حركات .

10 – الأتراك العثمانيون في شمال إفريقيا ، عزيز سامح تير

11 – دراسات في المقاومة و الاستعمار ، جمال قنان .

12 – العلاقات الفرنسية الجزائرية ، جمال قنان

قائمة المصادر الأجنبية :

1 – Alger au 18em siècle , venture de paradis

2 – Histoire des dernier Bey de Constantine

3 – Histoire D'Alger sous la domination turc , degramond

4 – Histoire de la conquête d'Alger , Alfred netman

5 – La mideteranee et le monde mideterannien , Fernand brodele

6 – Les captifs algériens et l'Europe chrétien , Moulay belahmissi

الفتح العثماني للجزائر

الغزو الاسباني لسواحل الجزائر :

كان لضعف دولة بني زيان تأثير سيئ على الوضع العام في الجزائر حيث انقسمت هذه الدولة إلى دويلات و إمارات متقاتلة فيما بينها منها :

ـ الإمارة الحفصية في قسنطينة

ـ إمارة جبل كوكو في بلاد القبائل

ـ إمارة بني جلاب بتقرت و وادي ريغ

ـ إمارة الثعالبة بجزائر بني مزغنة و متيجة

ـ إمارة دواودة بالحضنة و منطقة الزاب .. إلخ

ـ هذا التفكك دفع الأسبان و شجعهم على القيام بغزو الموانيء و السواحل الساحلية للجزائر حيث مهد للأسبان لذلك **بحركة جوسسة واسعة** ، إذ كلف الكاردينال كازيميناس شخصا يسمى (لوراندو باديا) بمهمة التجسس في **مملكة تلمسان الزيانية** و ذهب متنكرا في زي تاجر مسلم بصحبة التاجر البندقي (جيرونيمو فينال) و بقيا قرابة السنة في جمع المعلومات و رسم خريطة تضم المدن الجزائرية و أهم الموانيء ، و بعد إنجاز هذه المهمة قدما هذه الوثائق للملك الاسباني و كافأهم مكافأة كبيرة

ـ انطلاقا من هذه الوثائق و المعلومات المهمة جهّز الملك الاسباني فرديناند حملة عسكرية اسند قيادتها إلى(دون دييغو فرنانديز) و ذلك في سبتمبر عام 1505 م .

كلفت هذه الحملة بالهجوم على **المرسى الكبير** الذي كان يستقر به عدد كبير من مسلمي الأندلس المطرودين ، فهجم (دون دييغو) في 09 سبتمبر 1505 م على **المرسى الكبير** و ارتكب الأسبان مجازر دامية ضد المسلمين و أبلى سكانها مقاومة كبيرة و استمرت المعارك أياما إلى غاية سقوطها في أيدي الأسبان .

ـ كرر الأسبان محاولة ثانية فجهّزوا حملة جديدة خرجت من **قرطاجنة بإسبانيا** يوم 16 ماي 1509 بقيادة الكاردينال كازيميناس ، و وصلت هذه الحملة إلى **وهران** يوم 19 ماي 1509 و فرضت حصار على سواحل المدينة و نتيجة خيانة بعض الضعفاء و بعض اليهود سقط المرسى الكبير في أيدي الأسبان و أصبحت **حدود وهران و المرسى الكبير** تحت الهيمنة الاسبانية ، بعد هذا النجاح عيّن الأسبان أحد القراصنة

المسمى (بيدروا نافاروا) حاكما عاما على **المرسى الكبير و مملكة بني زيان بتلمسان** التي استسلمت لاحقا .

ـ لم يكتفي الأسبان بالمرسى الكبير و بتلمسان بل أخذوا يتحرشون بمدن أخرى مثل **مدينة بجاية** التي كانت خاضعة لأمير حفصي تابع **لإمارة قسنطينة** الحفصية يسمى عبد الرحمان الحفصي و الذي كان ينافسه أخوه عبد الله في الحكم .

فشن الأسبان حملة كبيرة يوم 05 جانفي 1510 م و احتلوها بعد أن فتكوا بأهلها و دروا الكثير من الآثار و المعالم الإسلامية ، و لم تتوقف حملاتهم عند هذا الحد فاتجهوا شرقا و احتلوا **مدينة عنابة و القالة** في 1510م و توجه الأسبان نحو **السواحل التونسية** لإسقاط بعض مدنها ، لكن السلطان الحفصي قدم للأسبان ضرائب و أتاوات عنوانا للخضوع و الاستسلام .

ـ بعد هذه الحملات المتتابعة من **وهران و المرسى الكبير و بجاية و عنابه و القالة** و خضوع أغلبها للهيمنة الاسبانية توجس سكان **مدينة الجزائر** من الخطر القادم و خافوا من مهاجمة **الأسبان** لمدينتهم بين حين و آخر فوجه **سكان مدينة الجزائر** وفدا من الأعيان إلى بيدروا نافاروا الذي **تعهد** (الوفد) **بإطلاق** سراح الأسرى و دفع ضريبة مالية للحامية الاسبانية الموجودة **ببجاية** ، مقابل ألا يتعرض الأسبان **لمدينة الجزائر** ، بل أكثر من ذلك توجه وفد من **الجزائر إلى مدريد** عام 1511 م و تنازل عن الجزر الساحلية الشرقية المقابلة **لمدينة الجزائر** ليقيموا عليها حصونهم و مراكزهم ، أسس الأسبان بإحدى الجزائر حصنا كبيرا يسمى صخرة الجزائر ، كل ذلك التنازل مقابل ألا يتعرض الأسبان بهجوماتهم **لمدينة الجزائر** .

ـ أمام تنامي خطر القوة الاسبانية على السواحل الجزائرية أرادت بعض المدن الجزائرية أن تشتري السلم و الأمان من الأسطول الأسباني حيث قدم سكان **مستغانم و تنس فروض** الطاعة و الولاء **للأسبان بوهران** .

أمام هذا الوضع أصبحت أهم المدن الساحلية الجزائرية من أقصى الشرق إلى أقصى الغرب تحت هيمنة الأسبان .

بروز الإخوة بربروس :

ينتمي الأتراك إلى القبائل الأولى التركمانية التي اتخذت من الغزو أسلوبا لها ، تعتبر أواسط آسيا هي موطنهم الأصلي (**أذربيجان**) ، اتجهوا غربا إلى شبه جزيرة آسيا الصغرى (**الأناضول**) ، استقروا بها و كونوا نواة دولتهم بها في نهاية القرن 13 م (1288 م) على حساب أراضي **الدولة البيزنطية** ، و من هناك عبروا **بحر مرمرة و مضيق البوسفور و الدردنيل** ، رمى الأتراك بكل ثقلهم في شرق أوربا و أطاحوا بعاصمة **الدولة البيزنطية** و سقطت على أيديهم **القسطنطينية** عام 1453 م في عهد السلطان محمد الثاني (الفاتح) ، و اتخذها العثمانيون عاصمة لهم ، ثم أخذوا يوسعون حدود دولتهم في كل الاتجاهات

Hassen.barboura@gmail.com

امتلك العثمانيون أساطيل بحرية تجوب مختلف البحار و امتاز البحارة الأتراك بالشجاعة و القوة و كان من بين هؤلاء البحارة الذين جابوا عرض البحر المتوسط الإخوة بربروس (عروج و خير الدين – خسرف ـ و إسحاق) ، كان أبوهم يدعى يعقوب بن يوسف الفخارجي امتهن التجارة على سواحل اليونان و زيادة على أبنائه الثلاث كان له ولد يسمى محمد إلياس .

ـ ولد أشهر الإخوة بربروس (عروج) حوالي 1473 م **بجزيرة مادلي** و خير الدين في العام الموالي ، كانا يبيعان الفخار لأبيهم **في سواحل تونس و الجزائر** ، و في إحدى المرات وقع عروج أسيرا و بيع عبدا **بجزيرة رودس** ، و في أثناء توجهه إلى **مصر** كمجدف في سفينة تحمل أسرى مسلمين و جرى إفتدائهم بالمال ، بعد ذلك فرّ عروج من ذلك المركب و تعرّف على شخص يدعى علي بوراس في **الاسكندرية** ، اشتغل معه في بيع و نقل الأخشاب بواسطة السفن ينقلونها من ميناء إلى آخر ، و في إحدى المرات اعترض طريقهم قراصنة جنويون و أحرقوا سفينتهم و لم يبقى له سوى العودة إلى **الأناضول** و تحديدا (**أداليا**) ، تعرّف هناك بالأمير قرقود شقيق سلطان الدولة العثمانية السلطان سليم الأول فأكرمه و جهّز له سفينة للجهاد في البحر الأبيض المتوسط ضد القراصنة المسيحيين الذين كانوا يعترضون كل السفن بما فيها سفن الحجيج ، ساقته الظروف إلى **جزيرة جربة جنوب تونس** عام 1504 م ، لحق به أخواه خير الدين و إسحاق و أصبحت لهم مجموعة من السفن و بنوا العديد من المستودعات هناك ، اتفق الجميع مع الأمير الحفصي (أبي عبد الله محمد علي) بأن يجعل **جربة** مركزا لأسطولهم و يفتح أمامهم الموانئ التونسية عند الضرورة مقابل الخُمس (1/5) من غنائم البحر ، فأخذوا يجاهدون ضد القراصنة المسيحيين ابتداء من 1506 و خاصة البرتغال و الأسبان . و لما كانت **جزيرة جربة** بعيدة عن ميدان الجهاد في غرب المتوسط نتيجة كثرة هجمات الأسبان طلبوا من الأمير تغيير مركزهم نحو **شمال تونس** إلى **حلق الواد** .

ـ ابتداء من عام 1512 م سطع نجم الإخوة الأتراك و أصبح الناس يسمعون عن انتصاراتهم على الأسبان و في شواطئ الأندلس .

ـ كما اتصل بهم علماء و أعيان **بجاية** و حتى أمير قسنطينة أبو بكر الحفصي و استصرخوهم للنجدة و طرد الأسبان من **بجاية** و سواحلها ، فلبى الإخوة بربروس رغبتهم ، و اتجهوا نحو **بجاية** ، لكنهم فشلوا في حملتهم هذه بسبب تحصينات الأسبان ، و أثناء هذا الهجوم جُرح عروج و استعصى جرحه مما أضطر القائمين عليه بقطع ذراعه .

ـ أثر هذا الانهزام على عروج و أدرك أيضا أن تمركزه في شواطئ **تونس** (**حلق الواد**) كان بعيدا عن ساحة المعركة لذلك قرر مساعدوه ضرورة البحث عن موقع آخر يساعدهم في إدارة المعارك على أن يكون هذا الموقع المختار في السواحل الجزائرية و قريبا من **مدينة بجاية** التي أحكم الأسبان قبضتهم عليها ،

و كان من بين المواقع المقترحة **منطقة جيجل** ، كأحسن موقع قريب من **بجاية** و ذلك بسبب صعوبة التضاريس و التحصينات الطبيعية ، و معرفة بعض الأتراك بهذه المدينة .

ـ و في هذه الأثناء كانت **مدينة جيجل** تحت سيطرة قراصنة جنويين ، و لما علم أهالي **مدينة جيجل** بالأخوة بربروس و مكانتهم بعثوا لهم بريدا يحمل في محتواه الاستنجاد لطرد القراصنة من **مدينة جيجل** فلبى عروج و خير الدين طلب أهالي **جيجل** و قدما على رأس قوة بحرية تجاوزت 500 بحار و نجحوا في طرد قراصنة جنوة سنة 1514 و أصبحت بذلك **جيجل** تحت نفوذ عروج و خير الدين ، و أمام هذا الانتصار تحققت رغبة عروج في الاقتراب من **شواطئ الجزائر** و تم بذلك نقل مركز قيادتهم العسكرية من **حلق الواد** بسواحل تونس إلى **جيجل** على السواحل الجزائرية و أصبحت بذلك **بجاية** المستعصية على مرمى حجر من قواتهم .

استرجاع بجاية :

بعدما استقر عروج و خير الدين في **مدينة جيجل** و أسسا بها قاعدة بحرية كانت لا تزال مظاهر الاضطهاد تنقل عبر الأخبار و الروايات و كانت **القشتالة** (**سكان شبه جزيرة أيبيريا**) يلاحقون في عرض البحر المتوسط الأسر الفارّة من **الأندلس** نتيجة محاكم التفتيش الني نصبت هناك ، لذلك عمل الإخوة بربروس على مساعدة الموريسكيين و نقل أسرهم و عتادهم من **شواطئ إسبانيا** نحو شواطئ شمال إفريقيا (**المغرب** ، **الجزائر** ، **تونس** ، **طرابلس الغرب**) ، و لم يكتفي الإخوة بربروس بهذه الأعمال بل هاجموا **جزر غرب البحر المتوسط** (**جزر البليار**) ، و تم أسر أكثر من ستة آلاف أسير إسباني انتقاما من بطش الأسبان بالأندلسيين .

ـ نظرا لسلوك و أخلاق و نجاحات عروج ، فقد بايعه سكان **مدينة جيجل** أميرا عليهم و طلب منه شيوخ القبائل و أمير **إمارة جبل كوكو** بزعامة أحمد بن القاضي ، و أصبح بذلك عروج يتمتع بسلطة كبيرة و تأييد من سكان و أعيان مدينة **جيجل** و ضواحيها .

ـ جهّز عروج حملة عسكرية لاسترجاع **بجاية** و حاصرها قرابة **ثلاثة** أشهر و كان ذلك دون فائدة و ذلك في نهاية 1514 م ، و اضطر إلى رفع الحصار لكنه أعاد محاولة جديدة مطلع عام 1515م بواسطة قوة كبيرة ، لكن قلة الذخيرة و نفاذ المخزون الموجود و امتناع الأمير الحفصي **بتونس** عن تزويده بالذخيرة جعله يتراجع بعدما أسر 300 اسباني .

ـ لكن إرادة عروج لم تتوقف عند هذا الحد فبعث بأحد مساعديه إلى الباب العالي إمداد بالسلاح و الذخيرة فبعث له من هناك بحوالي 14 سفينة و أكثر من 100 مجدف من المهرة و كمية كبيرة من الأسلحة و الذخيرة و كان ذلك جراء الهدية التي قدمها عروج إلى الباب العالي **بعد فتح جيجل** .

الانتقال إلى الجزائر :

تحوّل الحصن الذي أنشأه الأسبان قبالة **مدينة الجزائر** في 1510 م إلى وكر و مكان للجوسسة و التخريب ، حيث اتخذه الأسبان مركزا لعملياتهم العسكرية لسلب أموال الجزائريين ، و نتيجة هذه الأوضاع المزرية ذهب جمع من سكان **مدينة الجزائر** إلى **مدينة جيجل** عام 1516م و شكا هذا الوفد أوضاعه لعروج و بطش الأسبان بسكان **مدينة الجزائر** فأخذ عروج مطلبهم هذا محمل الجد ، لذلك قرر عروج نجدة سكان **مدينة الجزائر** ، و قدم هذا الوفد راجعا إلى **الجزائر** في انتظار تلبية مطالبهم .

جهز عروج قوة عسكرية و قاد أخوه خير الدين حملة ثانية في نفس الاتجاه و التقيا على مشارف **مدينة الجزائر** و استقبلهما سكان **مدينة الجزائر** استقبالا كبيرا و شرعا في الحال في قذف الحصن الاسباني بمدافعهما . في تلك الأثناء اتجه عروج إلى **شرشال** التي كان يحكمها شخص تركي اسمه قارة حسن فقضى عليه و سيطر على المدينة و عاد إلى **الجزائر** و هناك بايعه السكان أميرا للجهاد .

ـ بعد مبايعة عروج أميرا للجهاد ، أثار ذلك حفيظة و حقد أعيان و وجهاء مدينة الجزائر ، و لعل أبرز هؤلاء سالم التومي الذي رأى في تلك المبايعة تراجعا لمكانته و نفوذه و مركزه في **مدينة الجزائر** ، بل و حتى أتباعه رأوا في ذلك توقيفا لمصالحهم و امتيازاتهم لأن السلطة كانت بأيديهم فحاولوا التآمر ضده و أشاعوا في أوساط الناس أن عروج و إخوانه غرباء و دخلاء و لا يحق لهم أن يحكموا السكان .. لم تجد تلك الدعوى التي أطلقها سالم التومي آذانا صاغية لدى **سكان الجزائر** ، بل زادوا تمسكا بعروج نظير نجاحاته لذا فكر في حبك مؤامرة ضده و هي محاولة تسميمه ، ففي إحدى المرات قدّم زوج ابنة سالم التومي طعاما لعروج و مجموعة من أتباعه ، و وضعوا له في طعامه سم (صمغ) الخشب (كان يستعمل آنذاك في صناعة السفن و يجلب من مدينة صقلية) ، لكن عروج تفطن للمؤامرة و قبض على سالم التومي و صهره و اغتاله عروج في منزله ، و في رواية أخرى وسط الحمام .

بعد قضاء عروج على هذه المؤامرة سارع في نسج علاقات اجتماعية في أوساط الجزائريين ، و جمّع أهالي **الجزائر في ساحة التوت** و خطب وسط تلك الجموع بأنه لا يرغب في أن يكون حاكما جائرا أو ظالما لكل فئات الجزائريين ، و أنه تنازل عن القيادة لصالح من تراه تلك الجموع أهلا لها ، فتعالت الأصوات في تلك الساحة تدعوه للبقاء أميرا للجهاد بديار **الجزائر** .

اعتبر **الأسبان** وجود عروج و خير الدين في **الجزائر** خطرا يهدد وجودهم و مصالحهم ، ليس في **الجزائر** وحدها بل في **شمال إفريقيا** لذلك عزم **الأسبان** على مقاومتهم و طردهم فتحالف الأسبان مع أمير **تنس** و استمالوا

إليهم أتباع سالم التومي المغتال و بعض زعماء القبائل المجاورة ، و وجهوا حملة كبيرة انطلاقا من **وهران** بقيادة (دييغو دوفيرا) ، و صلت الحملة إلى **الجزائر** أواخر سبتمبر 1916 و نزلت قرب **باب الواد** ، فتركهم عروج ينزلون في البر و شرع في مناوشتهم لاستنزاف قواتهم ، و اغتنم فرصة تقهقرهم و هبوب رياح قوية ، فزحف بجيشه عليهم و أغرق سفنهم و قتل و اسر الكثير منهم ، فكانت هزيمة كارثية بالنسبة **للأسبان** ، و إثر ذلك خرج الناس فرحين مبتهجين من ديارهم و ذبحوا الولائم ابتهاجا بعروج و جنوده .

هذا الانتصار على الأسبان دفع **سكان المدن المجاورة كالبليدة و المدية و دلس و مليانة و جزء من بلاد القبائل** إلى مبايعة عروج أميرا عليهم ، و كانت هذه الحملة الناجحة هي التي فتحت أبواب النجاح لعروج و بداية توسع نفوذه في **الجزائر** .

و لما كان موقف أمير **تنس** متعاونا مع **الأسبان** قرر عروج الانتقام منه و ذهب على رأس قوة كبيرة و اقتحم المدينة في جوان 1517 و قتله و اسر أسرته و طرد **الأسبان** من تنس ، كما أقدم في هذه الأثناء على تقسيم مملكته الجديدة إلى قسمين : **قسم شرقي مركزه دلس يشرف عليه أخوه خير الدين ، و قسم غربي مركزه الجزائر يحكمه بنفسه .**

أعتبر هذا التقسيم بدايات التنظيم الإداري في **الجزائر** ، لأنه قسم مناطق النفوذ إلى منطقتين ، و كل منطقة لها حاكمها ، و هذا قصد تسهيل التدخلات العسكرية و حماية الحدود ، و وضع المناطق غير الآمنة تحت حراسة الجنود العثمانيين .

تلمسان تستنجد :

بينما كان عروج في مدينة تنس ينظم شؤونها ، قدم إليه وفد من تلمسان يشكوا إليه أوضاعهم المزرية ، و تهديد الأسبان لهم ، بسبب ضعف أمراء بني زيان نظرا لصراعهم على السلطة. في هذه الظروف قام أبو أحمد الثالث بالاستيلاء على العرش بتلمسان بالقوة ، و طرد ابن أخيه أبا زيان الثالث و وضعه في السجن ، و نتيجة هذا الوضع استنجد و طلب التعاون مع الأسبان

لبّى عروج رغبة الوفد و استخلف أخاه عروج على **الجزائر** و اتجه إلى **تلمسان** و في طريقه مر على **قلعة بني راشد** (**قرب معسكر**) فوضع بها حامية تركية كبيرة بقيادة أخيه إسحاق من أجل حماية مؤخرة الجيش و واصل زحفه إلى **تلمسان** و استطاع بسهولة التغلب على أبو أحمد الثالث المتآمر مع الأسبان و دخل عروج **تلمسان** و أطلق سراح أبا زيان الثالث و أجلسه على عرشه من جديد ، لكن هذا السلطان خاف من هيمنة عروج و حاول أن يغتاله ، مما أدى بعروج إلى إلقاء القبض عليه و اغتياله .

أما أبو أحمد الثالث فقد فر إلى **وهران** لطلب النجدة من الأسبان ، و تعاون الأسبان معه و شنوا حملة كبيرة على قلعة بني راشد و احتلوها و قتلوا صاحبها (إسحاق في جانفي 1518) ، و واصل الأسبان سيرهم نحو **تلمسان** و فرضوا عليها حصارا كبيرا مما أضطر عروج أن يعتصم **بقلعة المشور** ثم غادرها ليلا لكن

الأسبان تفطنوا لخروجه و تبعوا مسيرته ليلا و اغتالوه في **منطقة سهلية بين المالح و زاوية سيدي موسى** ، و أخذوا رأسه إلى **اسبانيا** (**مدريد**) ، و جندت لهذا الغرض فرق جابت معظم المدن الاسبانية زاهية برأس عروج كما أرسلوا جلبابه الذي كان يلبسه إلى **كنيسة القديس جيروم** .

إلحاق الجزائر بالدولة العثمانية

بعد مقتل عروج و إسحاق لم يبقى إلا خير الدين وحيدا، فأصبحت الأخطار تهدده من كل جانب ، ففي الداخل كثر معارضوه و تمرد عليه أحمد بن القاضي أمير **إمارة كوكو** ، و تمردت عليه مدينة **شرشال و تنس** و تواطأ ضده بنو زيان في **تلمسان** ، و ازدادت أطماع الأسبان في ملكه و تقاعس أمير تونس الحفصي على تقديم يد المساعدة لخير الدين ، بل أكثر من ذلك حي لما سمع الأمير الحفصي مقتل عروج عقد مجلس حرب لتوسيع نفوذه داخل الأراضي الجزائرية ، أما أخطار الخارج فكانت واضحة من الأسبان لأنهم كانوا لا يزالون يحتلون مدنا ساحلية ، أمام هذا الوضع قرر خير الدين مغادرة الجزائر ليستأنف الغزو ضد قراصنة البحر ، و ترك الجزار على حالها ، لكن عقلاء و أعيان **الجزائر** ألحوا عليه بالبقاء . بعد تفكير طويل استغرق أسابيع تفطن خير الدين إلى فكرة سياسية و هي محاولة ربط **الجزائر مع الدولة العثمانية** حتى تصبح لها حماية الإمبراطورية العثمانية

هذه الفكرة تدل على حنكة خير الدين و دهائه السياسي لأن **الجزائر** في هذه الظروف بالذات لا تستطيع أن تحمي نفسها من الزحف الأسباني بينما الدولة العثمانية قادرة على دعم سلطتها و تمدها بالرجال و السلاح .

أمام هذه الفكرة التي استحسنها أعيان **مدينة الجزائر** و بعد أن شاورهم في الرأي أرسل خير الدين وفدا من أعيان الجزائر إلى **الباب العالي** في زيارة السلطان سليم الأول ، و لأن السلطان لم يكن موجودا في **الأستانة** استقبلهم الصدر الأعظم ، بينما السلطان كان لا يزال منتشيا بفتح **مصر** ، و إثر عودته عرضت عليه الفكرة فأستحسنها و أرسل إلى **خير الدين** و عينه بوجوده حاكما للجزائر برتبة بيلرباي (أمير الأمراء) و بعث له بحامية انكشارية تعدادها 2000 جندي مزودة بـ 12 مدفع و سفنا محملة بالذخائر ، و أذن له بتجنيد المتطوعين ليساعدوه في الحرب ، و بذلك دخلت **الجزائر** تحت نفوذ **الدولة العثمانية** و أصبحت إيالة من إيالاتها ، و أكسبها ذلك حماية و حصانة من التهديدات الخارجية منذ نهاية 1518 – 1519 أصبحت **الجزائر** جزءا من هذه الإمبراطورية منذ تعيين خير الدين **بيلرباي** .

ـ تحالف خير الدين مع قوى إسلامية (أعيان مدينة الجزائر) للدفاع عن سلطته و نفوذه ، و توجه وفد جزائري منهم إلى الباب العالي الذي استجاب بتحميله فرمانا (مرسوم) بتعيين خير الدين بيلرباي ، و أرسلت له حامية انكشارية و اسلحة و ذخيرة و أذنت له بفتح باب المتطوعين ، و بذلك (1518 – 1519) أصبحت الجزائر إيالة عثمانية .

Hassen.barboura@gmail.com

- **رأي في إلحاق الجزائر بالدولة العثمانية :**

1 ـ هناك من يقول أن سببه خير الدين لميولاته نحو أصوله و دولته الأم .

2 – و منهم من يقول أن أعيان الجزائر هم من اقترح ذلك بدليل سفر وفد منهم نحو الاستانة ، لكننا نقف موقفا عادلا بين الرأيين .

عهد البيلربايات 1518 – 1587 :

تم فيه تعيين خير الدين بيلر باي بموجب فرمان أمضاه السلطان (سليم الأول) و اتخذ من مدينة الجزائر مركزا لحكمه . كما عيّن خير الدين أحمد بن القاضي حاكم جبل كوكو (على بعد 18 كلم عن الأربعاء نايت ايراثن) حاكما على بلاد القبائل و ناحيتها الشرقية .

و قد حيكت ضد خير الدين مؤامرات من قبل الدولة المرينية و كذا الدولة الحفصية ، و حتى الاسبان نظموا حملات عسكرية كبيرة و ضخمة قادها البحار دييغو مونكاد و نزلت الحملة بواد الحراش في أوت 1519 و لكنها منيت بهزيمة كبيرة ، فقد فيها الاسبان معظم قواتهم و أسلحتهم ، و كان من بين أسباب هزيمتهم تأخر إمدادات الزيانيين .

كما كان لهذه الهزيمة تأثير كبير على الوجود الاسباني شمال افريقيا ، كما أن الحفصيين و الزيانيين استعملوا الدسائس ، و استمالوا إليهم ابن القاضي و حاولوا استمالة بعض الأعيان أمثال ابن علي محمد و حاولوا دفعهم للثورة ضد خير الدين .

و بدعم من الحفصيين ثار ابن القاضي في وجه خير الدينو نجح في البداية في أن يلحق هزيمة به و يقطع عليه خط الرجعة إلى الجزائر التي استولى عليها ابن القاضي فاضطر خير الدين أن يتراجع و ينسحب إلى قاعدته البحرية القديمة بجيجل لمدة 6 سنوات (1521 – 1527) و ظل خيلة هذه الفترة يحارب الاسبان .

ـ لقد عانى سكان مدينة الجزائر كثيرا من ظلم و جور ابن القاضي خاصة في ميدان جباية الضرائب ، نتيجة لذلك راسلوا خير الدين و استنجدوا به ، و سرعان ما ضعفت سلطة ابن القاضي و تفرق الناس من حوله نتيجة سياساته التعسفية ، ثم ما لبث أن عاد خير الدين للجزائر عام 1527 و استعاد سلطته و نفوذه بل و مدهما إلى جبهات كثيرة وقضى على أعداء الداخل و الخارج ، و أسقط الحصن الاسباني الشهير في 16 ماي 1529 و ردم البحر و شكل رصيف خويل أصبح يشكّل جزءً من ساحل الجزائر . و كان خرد الاسبان نقطة تحول في مدينة الجزائر و شكل صدمة للأسبان لذلك قرروا الانتقام من خير الدين .

خير الدين و الأسبان :

بعد طرد خير الدين للاسبان من الحصن المقابل للجزائر قرروا إعداد و تجهيز حملات عسكرية ضد الجزائر و موانئها ، فأمر الملك الاسباني بتجهيز حملة عسكرية ضد الجزائر و منح أموالا طائلة لأحد أكبر القراصنة (أندري دوريا – مدينة ميلانو) الايطالي الأصل الذي كان يتقاضى مبالغ طائلة من كنائس أوربا و بعض الملوك مقابل الأعمال العسكرية .

ـ نجح أندري دوريا في الدخول لشرشال و ألحق بها خرابا كبيرا و نكّل بأهلها و هدّم بعض المساجد و نهب الأموال ...

ـ و أمام زحف خير الدين اضطر الأسبان للتراجع ، و لعب سكان شرشال دورا بوقوفهم إلى جانب خير الدين الذي نجح في طرد (دوريا) من شرشال .

ـ أمام هذا النجاح استدعاه السلطان إلى القسطنطينية عام 1535 و عيّنه وزيرا للحربية و قائدا لأساطيل الجيش العثماني ، و خلف مكانه حسن آغا

ـ ظن الأسبان أن رحيل خير الدين سيسهل عليهم احتلال الجزائر فرموا بثقلهم و استنزفوا قواتهم و احتلوا العديد من موانئ تونس ، و في أثناء توجه خير الدين بسفينة ، شارك في الصراع ضدهم و بعد أن تأكدوا من رحيله أعدوا حملة عسكرية استغرق تجهيزها 6 اشهر و أطلق عليها (ليبارتوا) و قادها الملك الاسباني شارلوكان (شارل الخامس) .

نزلت هذه الحملة بحسين داي يوم 1541/10/23 و رغم تعداد هذه الحملة و كثرة اسلحتها إلا أن تعاون الأهالي و بسالة الفرق الانكشارية تصدت لهجومات هذه الحملة و بقي الاسبان يترقبون إمكانية النزول على الشواطئ عدة ايام إلا أن شجاعة الحاميات العسكرية الجزائرية وقف سدا منيعا أمام هذه الحملة و تعرض الأسبان لهزيمة كبيرة و عادوا خائبين ، و اعتبر هذا بمثابة التجربة الأولى لاختبار قوة البيلرباي الجديد حسن آغا .

ـ استغل حسن آغا هذا المنصب ليوسع نفوذه و يمد سيطرته بإتجاه العديد من مناطق الجزائر الداخلية فوصلت سيطرته إلى غاية بسكرة و الزيبان .

ـ بعد أن جزم الاسبان أن الجزائر المحروسة أصبحت مستعصية عليهم حولوا أنظارهم و جهودهم إلى سواحل الجزائر الغربية و تحديدا إمارة بني زيان المنهارة بتلمسان ، و أخذوا يتدخلون في شؤونها الداخلية و حاولوا تجنيد أميرها الزياني عبد الله ضد شقيقه أحمد ، و لكن حملتهم التي جهزت بألف مقاتل أبيدت عن آخرها قرب عين تيموشنت 1543 ، و رغم هزيمتهم عاودا الكرة في العام الموالي 1544 و اقتحموها و نهبوا خزائنها و وضعوا المصاحف في طريق جيادهم و نصبوا فيها حليفهم عبد الله الزياني

ـ أمام هذا الموقف المشين للإسلام ثار السكان ضد الأمير عبد الله و طردوه من القصر و طالبوا بعودة أخيه أحمد .

ـ لم تكن الجزائر محل أطماع اسبانيا وحدها ، بل حاول السعديون احتلال تلمسان و ضم أجزاء من الحدود الغربية تحت سيطرتهم ، حيث أرسل السلطان محمد المهدي السعدي حملة عسكرية من مراكش معظم جنودها من عبيد البخاري ، حيث احتلوا تلمسان مدة من الزمن ، و لكن البيلرباي حسن قاوم هذا الغزو و أعدّ فيالقه العسكرية ، و توجه بهم صوب تلمسان ، فأوقع بهم هزيمة قرب مستغانم و زحف نحو تلمسان و طرد القوات السعدية منها ، و نصّب على عرشها الحسن الزياني سنة 1592 ، و بذلك انضمت تلمسان و ضواحيها إلى حظيرة الدولة الجزائرية الحديثة .

إرساء دعائم الدولة الجزائرية العثمانية :

بعدما ألحقت تلمسان بنفوذ الدولة الناشئة ، رغم ذلك كان الوضع لا يزال هشا في الغرب الجزائري و تحديدا بتلمسان و وهران ، فكان لبقاء هذه الأماكن بعيدا عن مركز الدولة يعتبر في حد ذاته نقطة ضعف قد تشجع الاسبان على التدخل في هذه المناطق .

ـ استخلف صالح رايس حسن آغا الذي حكم ما بين 1552 – 1556 ، و هو أحد رفاق خير الدين ، فبعد أن وسع فتوحاته نحو الجنوب و سيطر على تقرت و ورقلة ، جهز حملة عسكرية أخرى كبيرة ضد الأشراف السعديين بفاس ، الذين كانوا متآمرين مع الاسبان ضد الأتراك بالجزائر ، و في طريقه مر بتلمسان و عزل أميرها الحسن الزياني ، نظرا للشبهات التي كانت تحوم حول علاقته الوثيقة بالأسبان و تآمره معهم ، و بتنحية الحسن الزياني انتهت فترة حكم الزيانيين بتلمسان نهائيا ، و ألحقت بقايا هذه الدولة بالسلطة التركية بالجزائر ، و بذلك وضع صالح رايس حد لهذه الدويلة ، و قطع بذلك آمال الاسبان في إمكانية احتلالها .

ـ و لم يكتفي صالح رايس بهذا فقام بطرد الاسبان من بجاية بعد كر و فر طويل نجح في إعادتها ، و بذلك توسع نفوذ الدولة التركية إلى ما وراء بجاية ، و لكن حلم صالح رايس في استرجاع وهران من أيدي الاسبان تأجل سنوات طويلة و سرعان ما أدركته المنية عام 1556 ، و بذلك فقدت الجزائر أحد حكامها الذين اشتهروا بالدفاع عن وحدة أراضيها .

تأسيس و إنشاء نواة الإدارة العثمانية في الجزائر :

كان للجهود التي بذلها صالح رايس تأثير في مستقبل الجزائر حيث وسع نفوذ السلطة نحو الكثير من المناطق في مختلف الجهات الشرقية و الغربية ، و منذ ذلك الحين بدأت ترتسم معالم الحدود السياسية و

مناطق نفوذ الدولة العثمانية ، حيث تجدر الإشارة إلى أن البيلرباي الثاني للجزائر (حسن آغا) خلال ولايته للجزائر (الأولى و الثانية) سعى لتنظيم الإدارة الجزائرية فقسم الجزائر إلى أربع (4) مناطق (بايلك)

1 – بايلك الجزائر : مركزه مدينة الجزائر (دار السلطان) ، و هو مركز وجود مختلف السلطات و الحاميات العسكرية ، و وجود القناصل الأجانب .

2 – بايلك الشرق : مقره قسنطينة ،و يعتبر من أهم البايلك ، له حدود جغرافية واسعة حتى حدود تونس ، يحكم البايلك باي يعين من دار السلطان .

3 – بايلك التيطري : من أوسع البايلك مساحة ، عاصمته المدية ، و تصل حدوده أحيانا إلى الصحراء .

4 – بايلك الغرب : مركزه مازونة ، ثم تحول لمعسكر ثم وهران بعد تحريرها عام 1792 ، و من أهم البايلك نظرا لموقعه و حدوده المفتوحة مع دويلات المغرب الأقصى .

ـ منذ ذلك التاريخ بدأت شخصية الجزائر تتضح حدودها ، و أصبح لقادتها و أسطولها دورا في أحداث البحر المتوسط .

فحسن باشا شارك في الحصار ضد جزيرة مالطا ثم أستدعي إلى القسطنطينية مثل أبيه لتولي منصب قبطان البحرية العثمانية ، فخلفه في حكم الجزائر البيلرباي علج علي 1568 – 1571 ، و كان علج علي أحد رفاق خير الدين و كان ضمن القادة الكبار الذين شاركوا و خاضوا المعركة الشهيرة في اليونان (معركة ليبانتوا) في البلقان عام 1571 ، و كان الوحيد الذي نجا بأسطوله و أنقذ الكثير من المراكب العثمانية ، مما جعل السلطان يكلفه بإعادة تنظيم الأسطول ، كما اشترك علج علي مع سنان باشا و عرب أحمد في طرد الأسبان من تونس عام 1574 ، و أصبحت بذلك تونس نيابة تركية تابعة للدولة العثمانية .

خصائص و مميزات فترة البيلربايات :

يتسم عهد البيلربايات و فترة حكمهم بخصائص عديدة يتمثل أهمها في :

- معظم الحكام الأوائل (البيلربايات) من طائفة رياس البحر ، حيث كان أغلبهم من رفاق خير الدين ، و امتهن معظمهم أعمال البحر ، كما أن السلطان العثماني هو الذي يعين أو يوافق على البيلرباي ، أو بالأحرى يقبل اقتراح الرياس ، بحكم أن الجزائر إيالة تابعة للدولة العثمانية .
- كانت روابط رياس البحر بالسلطان العثماني روابط قوية ، يتولون تنفيذ أوامره و تعليماته ، و حكم بعضهم لفترات طويلة .

- امتاز بعضهم بالقدرة و الكفاءة فنقلوا إلى الأستانة بطلب من السلطان ليتولوا مناصب هامة في الدول مثل قبطان باشا (وزير الحربية) ، أمثال خير الدين و حسن أغا و علج علي

- ركز معظمهم في أعمالهم على مواجهة المسيحيين خاصة الاسبان في البحر المتوسط و تصفية جيوبهم في بعض المناخق الداخلية و الموانئ ، و قدموا يد المساعدة لمسلمي الأندلس الفارين من بطش المسيحيين ، و بذلوا جهودا كبيرة في هذا المجال .

- معظمهم امتازوا بالشخصية و السلطة و النفوذ ، ما أتاح لهم فرصة السيطرة على مناخق خارج الجزائر مثل تونس و خرابلس الغرب (ليبيا) ، فبحكم تعيينهم بفرمان (مرسوم) من خرف السلطان تولوا تعيين باشاوات في تونس و خرابلس الغرب .

- نجح معظمهم في إدارة مختلف جبهات الصراع الخارجية ضد اسبانيا مثلا و الداخلية كمعارضة ابن القاضي و بعض أعيان الجزائر لسلطتهم ، و لعل اشهر هؤلاء البيلربايات خير الدين و ابنه حسن باشا و صالح رايس و علج علي و حسن فنزيانو ...

- أبرز نجاح لبيلربايات هذا العهد أنهم وحّدوا الجزائر تحت سلطة واحدة ، و تحقيق الوحدة السياسية و الترابية ، لأن معظمهم اهتم بمد نفوذه و سيطرته على كل الجهات من الجزائر ، و قضوا على كل المؤامرات و السلطات المناوئة لحكمهم ، مثل الدولة الزيانية بتلمسان ، و الحفصية بقسنطينة و عنابة ، و إمارة جبل كوكو بالقبائل

و يعتبر البيلرباي صالح رايس بطل تحقيق هذه الوحدة السياسية و الترابية للجزائر ، فهو الذي مد نفوذ الأتراك حتى وصلت إلى الواحات بالجنوب و فرضت الطاعة بالقوة .